

كشمير المسلمة

عرض وتحليل

محمود بيوهي

تأليف

د. احسان حقي

ثلاثة حلول

باكستان وكانها طفلة بين ذراعي أمها .. إذ تحيط بها باكستان من جزء من شمالها الغربي ومن غربها ومن جزء من جنوبها الغربي .. وتحدها الصين من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي وتحدها الهند من جزء من جنوبها .

وتبلغ مساحتها نحو (٨٤٤٧١) ميلاً مربعاً ويزيد عدد سكانها على أربعة ملايين نسمة .. منهم نحو ٨٠٪ مسلمون و ٢٠٪ من الهنادة والسيخ والبوذيين وغيرهم .. وهي بلاد جبلية فيها سهلان أو واديان هما وادي جمو وادي كشمير ، طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات .. وأنهارها الكبيرة هي : السند وجلم وچناب .. وهي الأنهار التي تنساب إلى باكستان وترويها . وكانت الإمارة .. تقسم زمن الاستعمار

الانجليزي إلى ثلاث مناطق إدارية هي :

- جمو ، وكشمير . ومنطقة الحدود ..

أما اليوم فقد أصبحت تقسم إلى قسمين هما :

- كشمير الحرة .. وهو القسم الذي أعلن فيه أهل البلاد استقلالهم وانفصلهم عن الإمارة .
- كشمير .. وهو القسم الذي استولت عليه الهند .

ارتباطات باكستان وكشمير

ويقول الدكتور إحسان حقي في كتابه : تشكل كشمير جزءاً لا ينفصم عن

يقول الدكتور إحسان حقي : إن كشمير بلد له أمه .. ولأمله الحق في أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم وليس أمامهم إلا حل من ثلاثة حلول :

- الانضمام إلى الهند .
- الانضمام إلى باكستان .
- الاستقلال عن البلدين .

وللوصول إلى أحد هذه الحلول .. لا بد للشعب الكشميري من أن يتسنى له الإعراب عن رغبته باستفتاء حر .. وهذا ما تطالب به كشمير وتطالب به باكستان وتباه الهند .. فالأزمة الكشميرية التي ما يزال أهل كشمير يعانون منها .. قد قضت على ربع سكان هذا البلد .. قتلاً وتشريداً وحرقاً وجوعاً بيد أمة ظامعة مستعمرة ..

إن القضية الكشميرية .. أبسط من أن يستغرق حلها مثل هذا الوقت .. أو أن تحتل مثل هذا العنت .. فلو استوت أخلاق القوم وأنصفوا وعدلوا ورضوا بحقهم ولم يعثروا على حقوق غيرهم .. لما وجد شيء اسمه « قضية كشمير » .

جغرافية كشمير ..

بعد هذه المقدمة .. التي أوردها الكاتب .. وردها إلى الأزمة الأخلاقية للمستعمر الهندي .. حدثنا عن جغرافية كشمير فيقول : إنها تقع في الشمال الشرقي من

الكتاب الذي نتناوله اليوم بالعرض والتحليل .. هو كتاب « مأساة كشمير المسلمة » لكاتبه الدكتور إحسان حقي .. وقد أصدرته الدار السعودية للنشر والتوزيع ضمن سلسلة بعنوان « قضايا إسلامية » .

وقصة كشمير .. قصة من أفعج حوادث العصر الحاضر بعد قضية فلسطين .. أو هي قضية فلسطين أخرى ، يمثلها في شبه القارة الهندية .. أناس ملأوا حقداً وغيظاً .. تدفعهم البغضاء والانتانية .. للاعتداء على أناس أبرياء مسالمين لا يطعمون بغير الأمن والسلام في ديارهم .

إن مأساة كشمير .. هي مأساة إسلامية .. تهدد المسلمين هناك بالفتنة العاجل .. وفي هذا الكتاب .. شرح كامل لهذه المأساة .. يقدم لأول مرة إلى أبناء اللغة العربية - كما يقول مؤلفه - .

والكتاب .. يقع في ٢٤٨ صفحة من الحجم المتوسط . تضم (٢٥) فصلاً تتحدث عن جغرافية كشمير .. ومنشأ النزاع . وكيف انفجرت الأزمة وبدت الحركات التحريرية .. وتعريف الهندوكية والهنادة .. واستعراض لأحوال الهند في العصر الهنديوكي . ثم الترتي . والإسلامي في الهند إلى الاستعمار الإنجليزي للهند . والعقلية الهندوكية وسياسة الاستعمار .. ومراحل النزاع الهندي - الباكستاني حول كشمير . والاتفاقيات الدولية بشأن هذا النزاع .. ■■



■ محمد علي جناح ■

« منسومرتي » الخاص بالطقوس والعبادات الهندوكية وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب ان « الهندوكية دين من أقدم أديان العالم ، بل هو أقدم دين يمارسه بعض أهل الأرض في يومنا الحاضر .. إذ يعود تاريخ ظهوره إلى ألفي سنة قبل الميلاد .. أي ما يقارب الأيام التي هاجر فيها - سيدنا - إبراهيم من العراق إلى فلسطين .

وقد اختلف المؤرخون في تعيين الجهة التي انبعثوا منها .. فقال قائلون إنهم جاؤوا من العراق .. وقال غيرهم بل هم من سكان حوض البحر الأبيض المتوسط من غير أن يعينوا جهة .. وزعم آخرون بأنهم من أوروبا الشرقية .

ومن أول الكتب في الديانة الهندوكية كتاب يعرف باسم « ركويد » - أي العلم الأقدس - وهو عبارة عن مجموعة من القوائد الشعرية تضم مائة ألف بيت من الشعر فيها قصص وتشريع لكل ما كانوا بحاجة إليه في ذلك الزمن .

وتشريع « الركويد » ينطوي على الاعتقاد بألهاة متعددة .. منهم من يبب الخير ومنهم من يدفع الضر ومنهم من هو شر كله .. وقد أخذت أسماء هذه الآلهة تتوارى رويداً رويداً حتى لم تعد إلا رموزاً عند الخاصة من الناس ، وحلت محلها عقيدة الأضاحي وما يتعلق بها .

وتتعدد كتبهم الدينية .. كلما ادخلوا بعض التعديلات على هذه الديانة .. ومنها كتب « الويد » مثل : يجرويد - سام ويد - أهرويد - الويد الخامس وهو ما يعرف

نظر الهندوكي - .

ولا ينظر الهندوكي إلى اصحاب الديانات الأخرى من يهود ونصارى ومجوس نظرة إنسانية خالصة ، ولكن احتقارهم إياهم اخف وطأة من احتقارهم للمسلمين ، وكرههم إياهم أقل من كرههم للمسلمين .. والسبب في ذلك قلة اختلاطهم باتباع الديانات الأخرى .. فنظرة الهنادكة إلى المسلمين انهم اغتصبوا منهم تلك الملايين الذين أصبحوا مسلمين ، وهذه نظرة خاطئة لأنهم هم انفسهم بخلاء على البلاد .

ما هي الهندوكية ؟

يقول الكاتب :

الديانة الهندوكية لا تشبه الأديان السماوية الثلاثة .. اليهودية والنصرانية والإسلام .. لا من حيث التشريع أو التفكير ، ولا من حيث المبدأ والنهائية ، ولا يعرف بالتأكيد متى ظهرت هذه الديانة ولا يعرف واضعها .. ويزعم اصحابها ان واضعها هو - كبير الآلهة - برهما .. ولكن العلماء استطاعوا إرجاعها إلى ألف سنة قبل الميلاد على أكثر تقدير .. إذا اعتبرنا بدء كتابة كتبهم الدينية بداية لها .. وإلى ألفي سنة قبل الميلاد إذا اعتبرنا تاريخ مجيء الأريين إلى الهند بداية لها .

كتبهم المقدسة

وقد أورد المؤلف في كتابه العديد من كتبهم المقدسة .. ومنها كتاب

باكستان .. ويرتبط البلدان بصلات جغرافية ودينية وعنصرية تجعل منهما بلداً واحداً .. فمن ذلك :

- أنه ليس لكشمير من طريق يصلها بالعالم الخارجي إلا عن طريق باكستان ..
- ان أنهار باكستان الثلاثة وهي السند وجليم وجناب تنبع من كشمير .
- ان شكل الكشميريين ولباسهم وطعامهم ، يشبه شكل الباكستانيين وطعامهم ولباسهم ، وعادات الفريقين واحدة ولغاتهم متشابهة .. ودينهم الإسلام .

- هناك صلات عائلية بين القومين .. تجعل منهما قوماً واحداً .

- تعتمد التجارة الكشميرية على أسواق باكستان .

- ليس لكشمير .. ميناء بحري إلا كراتشي .

وانتهى الكاتب إلى القول : كل هذه الامور تثبت وحدة البلدين بينما لا توجد أية صلة تربط كشمير بالهند في هذه النواحي .

الهندوكية وكرهيتها للإسلام والمسلمين

ينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن الهندوكية .. كدين .. ويقدم لذلك بقوله :

الهندوكي لا يكره المسلم فقط .. بل وينظر إليه نظرة احتقار !! فصوت المسلم نجس وجسمه نجس وثيابه نجسة واوانيه نجسة وهو احقر قدراً واقل قيمة من بقرة أو قرد أو أي حيوان آخر !! - في



■ خريطة كشمير ■



■ نهرو ■



■ غاندي ■

● الهنوكي لا يكره المسلم فقط ، بل وينظر إليه نظرة احتقار ، وأنه أقل قيمة من بقرة أو قرد أو أي حيوان آخر ...

تكفير الذنوب في الهنوكية

وللهناكدة طريقة خاصة للتكفير عن ذنوبهم - وهي من أقيح ما يمارسه اتباع هذه الديانة - وهي أن يمزج الهنوكي بول البقرة بخفيها بلبنيها بزبدتها ويشرب هذا المزيج .. فيطهر المذنب .. وهم يستعملون خفي البقر للاغتسال بدل الصابون ويشربون أبولها للتطهر !! وإذا خاطب الهنوكي .. مسلماً .. فإنه لا بد له من الاغتسال وتغيير ثيابه حتى يتطهر او حتى يحق له أن يأكل او يشرب او يمارس عمله !! والهنوكي لا يأكل في وعاء أكل فيه مسلم !! وإذا لمس الهنوكي ثوب المسلم .. تنجس !! وإن توجيه المسلم كلامه إلى الهنوكي يُنجسه !! ولا بد لمن كُلم مسلماً أو سلم عليه أو سلم من أن يكفر عن ذنوبه ويغتسل ويتطهر !! والهناكدة - اليوم - قد يتكون كثيراً من أركان دينهم لحاجات دنيوية ولكنهم لا يتكون تعصبهم

والتجارة للويشي .. وجعلت الشودر - المنبوذين - خداماً للفرق الثالث الأخرى !! ولا يحق لأية فرقة أن تعترض على ما خصها به - الإله - من عمل ..

والجنة .. هي أن يرتقي أحد هذه الطوائف إلى طوائف أعلى .. والنار هو انحطاط أحد الطوائف من طائفة عليا إلى طائفة سفلى ..

وتنقسم حياة الهنوكي نفسه إلى أربعة أطوار .. كل منها (٢٥) عاماً .. فالمرحلة الأولى للتمذبة حيث يقضي الهنوكي (٢٥) عاماً من عمره لدى أستاذه يدرس أمور الدين ويقوم بالشحاذة له ولأستاذه وأسرته - والشحاذة في المرحلة الثانية ركن من أركان دينهم ، وبعد ذلك له أن يتخذ لنفسه عملاً ويسمح له بالزواج ، ومدة ذلك أيضاً (٢٥) عاماً .. وإذا كان من طويلي الأعمار فإنه يبدأ بالمرحلة الثالثة وهي مرحلة الزهد حيث ينصرف إلى العبادات الشاققة .. فإن ضاق من هذه العبادات يمكن أن ينتحر - أي يتخلص من جسده - وهي طريقة مشروعة ومذكورة في كتابهم « منوسمرتي » .

عندهم باسم « بُران » ، أما كتب تفسير الويد فتعرف باسم « سُفَر » .

والدين الهنوكي دين معقد لا يمكن تعريفه بكلمات .. والهناداكة انفسهم لا يستطيعون ذلك .. وقد حاولوا وضع تعريف لهذا الدين فقالوا « أن كل من يسكن الهند وليس من أهل الأديان الأربعة :

الإسلام والنصرانية واليهودية والبوذية ويقدم البقر فهو هنوكي » ولكنهم لم يرضوا عن هذا التعريف لأنه يضم اتباع الديانة السيكية - السيخ - .

العقيدة الهنوكية ونظرتها للهناكدة

ويعتقد الهناكدة .. أن « برهما » قد خلق البراهمة من وجهه .. والكشترين من ذراعيه ، والويشي من فخذيته ، والشودر من قدميه .. وقد اخصت الهنوكية كل فرقة منها بعمل خاص .. فعهدت بالأمر الدينية للبرهمي .. وبالجندي والإدارة للكشترتي وبالزراعة

● الطريق الصحيح لمعالجة قضية كشمير يقضي بأن يُترك للشعب الكشميري نفسه حق تقرير مصيره بحرية تامة بعد أن يُرفع عنه الاضطهاد والاستعباد ..

مؤامرة ضم كشمير إلى الهند

انتقل المؤلف بعد ذلك .. لكشف أبعاد المؤامرة التي تمت لضم كشمير إلى الهند .. بالرغم من أن تقسيم الهند إلى دولتين - على أساس ديني - كان يعطي كشمير الحق في الانضمام إلى الباكستان .
فالهند تدرك أهمية هذه المنطقة المسلمة بالنسبة إلى الباكستان .. فالزعيم محمد علي جناح قد أعلن في هذا الوقت « أن كشمير .. سياسياً واقتصادياً .. هي عصب باكستان المركزي ولا تستطيع أمة تحترق نفسها .. أن تعرض عصبها المركزي لسيف عدوها الجرد .. »

ولما كان من المقرر .. أن تعلن جميع الإمارات .. رايها بالانضمام إلى إحدى الدولتين - الهند أو باكستان - قبل ١٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٤٧م .. وقد بلغ زعماء كشمير .. رئيس الوزراء في ذلك الوقت « بنديت كاك » برغبة الشعب في الانضمام إلى باكستان .. ولكن الأمير كان يعمل لضم الولاية إلى الهند .. وقد زار غاندي ولاية كشمير وتعرف على رغبة الأمير .. وأرسل غاندي رسالة إلى نهرودا قال فيها :
لقد قابلت الأمير والأميرة وهما على رغبة في الانضمام إلى هندوستان .
وقد عقد أمير كشمير اتفاقية مع باكستان تقضي بإبقاء وضع الولاية على حاله كما كان زمن الاستعمار الإنجليزي .. وأصبحت باكستان بمقتضى هذه الاتفاقية تمثل كشمير دبلوماسياً وتدافع عنها عسكرياً .
وقد أرسل أمير كشمير رسالة إلى حاكم الهند في ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) سنة

« ديباست » .. وكانت هذه الإمارات تسيطر على ٤٥٣٪ من مساحة شبه الجزيرة الهندية .. وكان من حق هذه الإمارات أن تبقى مستقلة عن الهند والباكستان ..

وقد انضمت هذه الإمارات إلى الهند وإلى باكستان .. حيث تم الاندماج في كيان الدولة التي تقع الإمارة في نطاقها .. وهكذا طويت صفحات هذه الإمارات بصورة آلية ما عدا أربعاً منها كان لها وضع خاص وهي : كبور تهل - جونكده - حيد آباد وكشمير .

وقد استعرض الكاتب تاريخ كل إمارة من هذه الإمارات بشيء من التفصيل .. حتى ابتلعها الهند .

اضطهاد المسلمين في كشمير

كانت كشمير - زمن الاستعمار البريطاني - إمارة من إمارات الهند .. وكانت على كثرة خيراتها .. في أسوأ حال .. وعلى الرغم من أن المسلمين فيها كانوا يشكلون الاكثية الساحقة .. فلم تكن حقوقهم مصانة .. وكان جيش الإمارة يتكون من ثلاثة عشر فوجاً .. كل جنودها من غير المسلمين إلا فوجاً واحداً فقط .. ولم يكن يسمح للمسلمين بحمل السلاح .. وكان ذبح البقر ممنوعاً في الإمارة .. ولم يكن يسمح للهنديوكي باعتناق الإسلام .. إلا إذا أعلن عن تنازله عن كل ما يملك .. وقد فرضت الحكومة الضرائب حتى على نوافذ المسلمين باعتبارها نوعاً من الترف !!
وقد ادعى ذلك إلى إعلان الثورة الإسلامية بقيادة الشيخ محمد عبد الله .. الذي عرف باسم « أسد كشمير » .

والهنداكة يقولون لكل مسلمي الهند : إنكم ايها المسلمون من اصل هندوكي فيما أن تعودوا إلى دين أبائكم وأجدادكم أو أن ترحلوا عن الهند !!

كشمير ومنشأ النزاع

بعد هذا العرض المطول .. يتحدث الكاتب عن تقسيم الهند الذي تم عام ١٩٤٧م لتظهر إلى عالم الوجود .. دولة باكستان .. مستعرضاً آراء زعماء الحركة الإسلامية ومنها رسالة بعث بها الزعيم محمد علي جناح إلى غاندي .. جاء فيها :
« إنني أرى في ضوء التعريف للأمة .. أننا نحن المسلمين .. أمة مكونة من مائة مليون مسلم ، لنا ثقافتنا الخاصة وحضارتنا ولغتنا وآدابنا وفننا وهندستنا وشريعتنا ودستورنا الأخلاقي وعاداتنا وتاريخنا وتراثنا وماضينا وميولنا وعطامتنا .. وكل هذه الأسباب - التي يدعمها القانون الدولي - تؤكد حقنا في أن نكون أمة » .

واستشهد أيضاً بقول محمد علي جناح في كتابه « باكستان » :

« ... نحن ناكل البقر والهنداكة يعبدونها .. فكيف نتفق على نظام واحد !! » .

وبعد التقسيم .. بقيت (٥٦٥) إمارة تحت سلطة أمراء منهم هنداكة ومنهم مسلمون .. وكانوا مستقلين داخل حدود إماراتهم ولهم محاكمهم وشرطتهم ومالياتهم الخاصة .. ولكنهم كانوا مرتبطين عسكرياً وسياسياً بحكومة المستعمر ، وكان أهل الهند يطلقون على هذه الإمارات اسم

● كانت كشمير - زمن الاستعمار البريطاني - إمارة من إمارات شبه القارة الهندية ... وعلى كثرة خيراتها كانت تعاني من حالة اقتصادية سيئة بسبب الضرائب الكثيرة التي فرضتها الحكومة على المسلمين حتى تلهيهم بذلك عن الواقع الاستعماري .. ●

الانضمام إلى الهند باطل .. لأنه لم يكن حراً في هذا التصرف وإنما كان ملزماً باتفاقية مع باكستان .. ولأنه كان فارعاً ولا يمكن من أمر البلاد شيئاً .. وقد وقع على نص الانضمام بعيداً عن انظار الشعب .. وأن الانضمام كان ولا يزال يتعارض مع مشيئة الشعب .

● إن الشعب الكشميري لم يقل رأيه في الانتخابات العامة ولا عن طريق الجمعية التأسيسية .. لأن الانتخابات لم تجر .. لأخذ رأي الشعب في الانضمام أو عدمه .. وإن قرار الجمعية بالتصديق على الانضمام إلى الهند إنما تم بتدبير من الحكومة الهندية بالإكراه والرشوة وبعد اعتقال زعيم كشمير ورئيس وزرائها الشيخ محمد عبد الله .

● إن كشمير ليست جزءاً من الهند .. ولا يمكن اعتبارها مثل بومبي وبنارس وذلك لأن مشروع تقسيم القارة الهندية بين دولتين مستقلتين هما الهند وباكستان .. كان ينطبق على الجزء المعروف « بالهند البريطانية » التي لا تشتمل على الإمارات - ومن بينها كشمير - .

● إن زعم الهند بأن الاستفتاء يثير الاضطرابات الطائفية .. ليس عذراً مقبولاً إزاء مبادئ أساسية لا تقبل المساومة .

إن الطريق الصحيح يقضي بأن يترك للشعب الكشميري نفسه حق تقرير مصيره بحرية تامة .. ويرفع عنه الاضطهاد والاستعمار ..

داخل قاعة المجلس .

ميررات ضم كشمير

ونسنعرض الآن المبررات التي أوردها المؤلف في كتابه .. لضم كشمير .. فالجانب الهندي يعرض هذه المبررات :

● إن الأمير « هري سنج » قد أعلن انضمام بلاده إلى الهند بموجب وثيقة أكتوبر ١٩٤٧ م .

● إن الشعب الكشميري قد أفصح عن رغبته وتأييده للانضمام إلى الهند في مناسبتين .. الأولى : في الانتخابات العامة التي جرت في الإمارة لانتخاب الجمعية التأسيسية .. والثانية : قرار الانضمام الذي اتخذته الجمعية نفسها .

● إن الاستفتاء غير وارد بالنسبة إلى كشمير كما أنه غير وارد بالنسبة إلى بومبي وبنارس مثلاً .

● إن الاستفتاء قد يثير الاضطرابات الطائفية .

● إن الهند لم تؤمن بالنظرية القائلة : إن شبه القارة الهندية .. أمة هندوكية وأمة باكستانية .. وإنما تؤمن بأن كشمير باكتريتها الإسلامية .. إنما تقوم مثلاً للعلمانية في الهند (!!!)

وهذه مبررات باكستان

وترد باكستان على المزاعم الهندية قائلة :

● إن طلب الأمير « هري سنج »

١٩٤٧م يعلمه برغبته في ضم كشمير إلى الهند .. وفي ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) أرسلت الهند مندوبها يحمل وثيقة طلب الانضمام إلى هذا الأمر للتوقيع على الوثيقة .. فوقع بالرغم من أنه قد فر من كشمير ولم يعد حاكماً لها .. وقد أقرت الهند هذا الانضمام في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧م .. وقامت بنقل قواتها المسلحة بالطائرات إلى كشمير لتبدأ حملة واسعة للقضاء على المسلمين وإخماد ثورتهم .

وقد راح ضحية ذلك (٢٣٧) ألف قتيل من مسلمي كشمير إلى جانب نصف مليون مسلم لجأوا إلى باكستان .

تقرير المصير

واستعرض الكاتب بعد ذلك .. الجهود الدولية التي بذلت لإنهاء النزاع بين الهند وباكستان بشأن ولاية كشمير .. واستعرض بالتفصيل الاتفاقيات التي توصلت إليها هيئة الأمم المتحدة .. حتى تم الاتفاق بينهما على :

● حسم النزاع وفقاً لأمني شعب كشمير بطريق الاستفتاء .

● تعيين مشرف على الاستفتاء .

● إنشاء لجان من الخبراء للنظر في المسائل التمهيدية .

● بذل الجهود لتجنب الدعوات العدوانية ولخلق جو ملائم للعمل .

وشرح الكاتب أيضاً العوامل التي أدت إلى فشل المفاوضات بين الجانبين .. وتصريحات قادة كل من الهند وباكستان .. والشكاوى التي قدمت إلى مجلس الأمن .. وتفصيل مسهب للنقاشات التي دارت